

أضواء البيان

. @ 66 @ .

أي طالبه . قوله تعالى : { إِنَّ زَنْزَارًا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهْ خَيْرٌ وَأَبْقَى } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن فرعون لعنة الله لما قال للسحرة ما قال لما آمنوا ، قالوا له : { إِنَّ زَنْزَارًا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا } يعنون ذنوبهم السالفة كالكفر وغيره من المعاصي { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ } أي ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر . وهذا الذي ذكره عنهم هنا أشار له في غير هذا الموضع . كقوله تعالى في (الشعراء) عنهم : { إِنَّ زَنْزَارًا لَمِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } . كقوله تعالى : { إِنَّ زَنْزَارًا لَمِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } . وقوله عنهم في (الأعراف) : { رَبِّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ } . وفي آية (طه) هذه سؤال معروف ، وهو أن يقال : قولهم { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ } يدل على أنهم أكرههم عليه ، مع أنه دلت آيات أخر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين ، كقوله في (طه) : { فَتَنَّا زَكَرِيَّا } . أَمْ رَهْمُ بِئِنَّهُمْ وَأَسْرُؤُا الذِّجْوَى قَالُوا إِنَّ هَٰذَا نَارُ لِسَاحِرِينَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيفَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى } . فقولهم : { فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا } صريح في أنهم غير مكرهين . وكذلك قوله عنهم في (الشعراء) : { قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَّا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ } . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } ، وقوله في (الأعراف) : { قَالُوا إِنْ كُنَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ } . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } فتلك الآيات تدل على أنهم غير مكرهين . .

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة معروفة : .

(منها) أنهم أكرههم على الشخص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم ، فلما أكرهوا على القدوم وأمروا بالسحر أتوه طائعين ، فأكرههم بالنسبة إلى أول الأمر ، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر ، فانفكت الجهة وبذلك ينتفي التعارض ، ويدل لهذا قوله : { وَأَبْقَى } . في المَدَّ آثَرِ حَاشِرِينَ } ، وقوله : { وَأَرْسَلْ فِي الْمَدَّ آثَرِ حَاشِرِينَ } . .

(ومنها) أنه كان يكرههم على تعليم أولادهم السحر في حال صغرهم ، وأن ذلك هو مرادهم بإكراههم على السحر . ولا ينافي ذلك أنهم فعلوا ما فعلوا من السحر بعد تعلمهم وكبرهم طائعين .